رأي ابن قيم الجوزية في الصفات

د. صلاح بكري محمد يوسف*

بسم الله الرحمن الرحيم

سلم البحث في ١٤٣٦/١١/١٢هـ اعتمد للنشر في ١٤٣٦/١٢/٢٤هـ

ملخص البحث:

استعرض الباحث من خلال بيان رأي ابن القيم في الصفات وموقف العلماء منه، سيرة الإمام ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥٢هـ متناولاً حياته ونشأته ومؤلفاته وثقافته وصفته وموقف العلماء منه وصلته بابن تيمية كما تناول الباحث آراء ابن القيم الاعتقادية في الصفات وما يجب أن يتصف به الله سبحانه وتعالى من كمال الصفات وما يجب أن يتنزه عنه من النقصان، كما استعرض الباحث رأي الفرق الكلامية في مسالة الصفات مثل الجهمية ومذهب المعتزلة ومذهب الفلاسفة ومذهب الأشعري ومذهب الكرامية كما ضمن الباحث رأي ابن القيم من بين هذه الفرق المذكورة، وان ابن القيم قد اخذ رأيه من بين المذاهب المتقدمة ولم يتخذ مذهباً معيناً.

Abstract:

Researcher reviewed through the search, the opinion of Ibn Jawziyyah in the attributes of God and the position of scientists from him, the biography of Ibn Jawziyyah, handled his life and upbringing and writings, culture and described the attitude of the scholars of it, and it relates to the Son Taymiyyah, also discussed his views of belief in the qualities and what must be characterized by the God of perfection qualities, and what should be walking by Anakassan.kma of the difference in opinion between the issue of the qualities such as Jahamiyyah and Mu'tazila, Philosophers, and Alkramah Ash'ari, and between the son Jawziyyah the fact that his view of the difference between the views of this, did not come as a particular doctrine in this matter.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد، فقد كان للعلماء رأي في صفات الله تعالى، عددا وحقيقة، وعما إذا كانت هي عين الذات أم زائدة عليها، وكان لابن القيم رأي في ذلك مال فيه إلى آراء من سبقوه أو عاصروه، ولم يكن بدعا به دونهم، ولذا كان هذا البحث الذي يجلي موقفه من هذه الصفات.

---

* أستاذ مساعد بقسم العقيدة الإسلامية بكلية أصول الدين جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.

ترجمة ابن القيم، ثقافته، موقف العلماء منه

ترجمته:

هو محمد بن أبي بكر بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي،الملقب بشمس الدين، والمكنى بأبي عبد الله، والمعروف بابن قيم الجوزية[١] وهي مدرسه كان أبوه قيما عليها، وقد كان ذا علم وفضل، ولد ابن القيم في ٧ صفر عام ٦٩١هـ، وقد نشأ "ابن القيم" في بيت علم،فقد كان أبوه عالما جليلا، فتلقى عليه علومه الأولى، ثم درس عليه علم الفرائض؛ وقد تلقى العلم كذلك على كثير من الشيوخ والعلماء المبرزين في عصره؛ فدرس كثيرا من العلوم، وحصلها تحصيلا جيدا، حتى صار له في كل فن مباحثه قيمة.

ويخطئ بعض الكاتبين فيطلق على ابن القيم اسم "ابن القيم الجوزي" وقد أدى ببعضهم هذا الخطأ في التسمية إلى أن ينسب لابن القيم هذا الذي يؤرخ له كتاب، "دفع شبهة التشبيه" لابن الجوزي. وقد اضطرني ذلك إلى أن أفرق بينهما وبين عالم آخر، يطلق عليه كذلك ابن القيم المصري".

فابن القيم المصري: هو بهاء الدين علي بن عيسى بن سليمان الثعلبي المصري وهو محدث كبير، روى عن الفخر الفارسي، وابن باقة، وتوفى بمصر في ذي القعدة عام ٧١ هجرية.[٢]، وأما ابن الجوزي: فهو أبو الفرج بن عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي المتوفى ببغداد عام ٥٩٧ هجرية. وصاحب كتاب "دفع شبهة الشبهة" في الرد على المشبهة وكتاب "المغنى" في مجلدات و"جامع المسانيد" في الحديث وغيرها[٣]. وعلى ذلك فيجب أن نطلق على مفكرنا اسم "ابن القيم" فقط أو "ابن قيم الجوزية" ولا يطلق عليه ابن القيم الجوزي، لأن الجوزي اسم شخص آخر، وأما هو فمنسوب إلى المدرسة التي كان أبوه قيما عليها كما تقدم.

وقد كان ابن قيم الجوزية رجلاً عالماً فاضلاً وكان ذا عبادة وتهجد وشغف بالمحبة والافتقار إلى الله حتى أن بعض العلماء جعلوه من الصوفية وسموه الصوفي الكبير، وكان كثير الصلاة والعبادة، وكان يطيلها ويمد ركوعها وسجودها، وفي ذلك يقول ابن كثير، وهو من تلاميذ ابن القيم: "وكنت من اصحب الناس له، وأحبهم إليه"،

ولا اعرف في هذا العالم في زماننا من هو أكثر عبادة منه وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله".[٤]، لقد كان ابن القيم رجلا طيب القلب واسع الصدر كثير التودد لا يحسد أحدا ولا يحقد عليه، ولا يؤذي شخصا ولا يستعتبه.

اتصاله بابن تيمية:

ولما كان لابن تيمية أثر واضح في ثقافة ابن القيم وتكوين مذهبه، اعتنى المؤرخون بتحديد الوقت الذي التقى فيه ابن القيم به فعينوه بسنة ٧١٢هـ، وهي السنة التي رجع فيها ابن تيمية من الديار المصرية إلى دمشق فلازم ابن القيم مجلسه من هذا العام إلى حين وفاته فأخذ عنه علما جما، وأفاد منه إفادة كبيرة واتبع مذهبه ونصره وهذب كتابه، ولقد حصل لابن القيم بسبب اتصاله بابن تيمية، ونصره لمذهبه وتمسكه به كثير من الأذى، وقد حبس معه بالقلعة، وطيف به على جمل مضروبا بالدرة وقد حبس مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية، كما حبس أيضا لإنكاره شد الرحال لزيارة قبر الخليل عليه السلام.

ثم توفى رحمه الله وقت العشاء الآخرة ليلة الخميس ١٣ من رجب سنة ٧٥١هـ وصلى عليه من الغد بالجامع عقيب الظهر كما يقول ابن رجب الحنبلي في الطبقات، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وشيعه خلق كثير، حتى كانت شوارع المدينة تضيق بالمشيعين، وفاته كانت سنة ١٣٥٠م كما يذكر ذلك المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، وحج ابن القيم مرات كثيرة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه، ودرس بالصدرية، وأُم بالجوزية بعد وفاة والده وقتا طويلا.

ثقافته ومؤلفاته:

كانت ثقافة ابن القيم، ثقافة شاملة لجميع أنواع التفكير في عصره، وعامة في جميع نواحي العلم، فقد أخذ العلم عن كبار الشيوخ والعلماء المبرزين في أيامه، ودرس عليهم جل أنواع العلم، فدرس على ابن تيمية التفسير والأصول وعلم الكلام، ودرس على "الصفي الهندي" وهو أستاذه في الأصول والفقه، وقرأ على مجد الدين إسماعيل

الحراني المتوفى عام ٧٢٩هـ مختصر أبي قاسم الحرقي، والمقنع لابن قدامه، ودرس على ابن الشيرازي كثيرا من العلوم وقد تتلمذ كذلك لكمال الدين الزملكاني شيخ الشافعية في الشام، الذي انتهت إليه رياسة المذهب تدريسا وإفتاء ومناظرة والمتوفى سنة ٧٢٧هـ[٥]

تعلم ابن القيم وتخرج على هؤلاء العلماء الأجلاء وغيرهم، ودرس عليهم علوم الإسلام واللغة دراسة متقنة، تفنن ابن القيم في علوم الإسلام، فكان عالما بالتفسير. وبالحديث ومعانيه وفقهه. وبأصول الدين والفقه. كما كان عالما بالعربية، وله فيها اليد الطولي، وبعلم الكلام وغير ذلك.[٦]

وقد أخذ عنه العلم خلق كثير من حياة شيخه "ابن تيمية "وبعد وفاته إلى أن مات ابن القيم رحمه الله، وانتفع به الناس والعلماء، وكتبه الآن من المراجع الهامة في الفقه والأصول وعلم الكلام، وكان الفضلاء يعظمونه ويتتلمذون له كابن عبد الهادي وغيره.

مؤلفاته:

ولقد ألف ابن القيم وصنف كثيرا من المؤلفات، وهي في أنواع العلم المختلفة، وهي مؤلفات قيمة تشهد له بالتفوق، وكثرة الإطلاع، فقد ألف ابن القيم في التفسير، ومن مؤلفاته فيه كتاب "التبيان في أقسام القرآن" وكتاب "تفسير المعوذتين" و"تفسير سورة الفاتحة" في أول كتاب "مدارج السالكين" له وغيرها، وألف في الحديث مؤلفات كثيرة منها: كتاب "تهذيب السنن لأبي داود" وكتاب "الوابل الصيب من الكلم الطيب" وكتاب "الداعي إلى أشرف المساعي" وغيرها.

وألف في الفقه وأصوله كتبا قيمة منها: كتاب "إعلام الموقعين عن رب العالمين" وكتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية "وكتاب "الصلاة وأحكام تاركيها" "تحفة المودود بأحكام المولود" وكتاب "بيان الدليل عن استغناء المسابقة عن التحليل وكتاب التحليل فيما يحل ويحرم من لبس الحرير"، وغيرها، كما ألف في التصوف كتبا كثيرة منها "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" وكتاب "الفوائد لابن القيم" وكتاب "عدة الصابرين وذخيرة الشاركين" و"طريق الهجرتين وباب

السعادتين"، وغيرها، وهي كتب تجمع بين التصوف النظري والتصوف العملي، وقد عمل فيها ابن القيم مجهودا كبيرا، ويكفي أن تعلم لذلك أن كتاب "مدارج السالكين" وحده يقع في ثلاثة مجلدات، وصفحاته تزيد على الألف صفحة من القطع الكبير.

وألف ابن القيم في علم الكلام والفلسفة، كتاب "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" و"الكافية في الانتصار للفرقة الناجية" وهي شعر في ستة آلاف بيت إلا خمسين، كلها في الفرق والرد على المتكلمين، وإثبات عقيدة السلف التي على ظاهر الكتاب، وهي تدل على عقلية جبارة، وله كذلك في علم الكلام كتاب "الروح" وكتاب "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح"، وهو في وصف الجنة ونعيم أهلها، ووصف سكانها وحالتهم وكتاب "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة" وهو كتاب قيم في نوعه.

وألف ابن القيم غير ما ذكرنا من الكتب كتبا كثيرة منها كتاب "الداء والدواء" وكتاب "أمثال القران" و"تفضيل مكة على المدينة" وكتاب "فضل العلم" وكتاب نور المؤمن وحياته" وكتاب "الكبائر" وكتاب "المسائل الطرابلسية"، و"الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم" وغيرها، وأوصلها بعض الكاتبين إلى ستة وستين مؤلفا، من المؤلفات الضخمة التي يبلغ معظمها مجلدين، وثلاثة مجلدات وأربعة مجلدات.

موقف العلماء منه:

ابن القيم من العلماء النابهين، والمفكرين الظاهرين الذين برزوا في كثير من النواحي العلمية، وسبق فيها الكثيرين من أقرانه ومعاصريه، ونجد له كثيرا من الأنصار، الذين أشادوا بذكره، ونوهوا بفضله وتقدمه وعرفوا الناس بمكانته في العلم والدين. كما نرى له كثير من الأعداء الذين أردوا الكيد له والنيل منه، هؤلاء يجعلونه زنديقا من الزنادقة، ومبتدعا ضالا من المبتدعة وانه شذ عن إجماع المسلمين، والعلماء العاملين في كثير من المسائل التي وضحها وبينها في كتبه في الأصول والفروع معا[٧]

والأولون يجعلونه العالم الأكبر والشيخ الأجل، شيخ الإسلام والمسلمين وقائد النهضة الفكرية في القرن الثامن الهجري بعد أستاذه "ابن تيمية" الحراني، ومنقذ العالم

الإسلامي من ورطة التقليد الأعمى، ووصمة الأتباع لكلام الأولين من غير بحث أو مناقشة، وأنه لذلك قد فتح باب الاجتهاد لمن يريد، وبين أنه ليس وقفا على طائفة من العلماء المتقدمين فقط، وإنما هو مفتوح في وجه الباحثين والمفكرين، الذين لهم قدرة على الاستنباط والفهم، ما داموا لا يخرجون عن نصوص الشرع الشريف الصريحة، وليس مغلقا في وجه الباحثين من المتأخرين من هؤلاء الأنصار تلميذه النابه، والعالم الجليل: ابن رجب الحنبلي والذهبي، وابن كثير، وغيرهم من العلماء، كابن عبد الهادي الذي دافع عن ابن تيمية وابن القيم في كتابه "الصارم المنكى في الرد على السبكى".

ومن أولئك الأعداء الشيخ تقي الدين السبكي، صاحب كتاب السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، وقد ألفه ليرد به على ابن القيم فيما ذكره في قصيدته: "الشافية في الانتصار للفرقة الناجية"؛ ويقصد بابن زفيل "ابن القيم" كما ألف كتاب"الاعتبار ببقاء الجنة والنار" ليرد به على ابن تيمية وابن القيم معا.

ومن هؤلاء الأعداء أيضا ابنه: تاج الدين السبكي، صاحب كتاب طبقات الشافعية الكبرى؛ والتقي الحصني، الذي ألف كتاب "دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد، وغيرهم كثير من العلماء القدامى والمحدثين.

والسبب في عداوة هؤلاء العلماء له -كما يظهر من كتاباتهم- أنه قد فتح باب الاجتهاد في الفروع وأنه شذ عن الإجماع في بعض مسائل الفروع والأصول وأطلق الصفات الخبرية من اليد والوجه والقدم وغيرها -التي ورد ذكرها في الكتاب والسنة النبوية على الله تعالى بدون تأويل لها بل وصف الله بها حقيقة، وأنه قد رمى الأشاعرة والمعتزلة الذين أولوا هذه الصفات، بأنهم جهميون معطلون، والمعطلون في نظره اشد كفرا من اليهود والنصارى[٨] فكانت شدته هذه في النقد، وإثباته للصفات الخبرية وغير ذلك من مسائل الفروع؛ سببا في خروج الكثيرين عليه يبدعونه ويفسقونه تارة، ويكفرون أخرى، ولكن الرجل -فيما يبدو- كان طيب القلب، سليم الضمير، مخلصا للدين، غيورا عليه فلما رأى تأخر المسلمين وما حل بهم في ذلك العصر من النكبات السياسية والمصائب الاجتماعية وقع في ذهنه -كما يحكي عن نفسه- أن

ذلك بسبب تأخر المسلمين وبعدهم عن الدين الإسلامي، وعدم وجود حرارة الإيمان في قلوبهم كل ذلك حمله على أن يسلك هذا المنهج في بحثه، وان يفتح باب الاجتهاد والبحث حتى ترقى نفوسهم وتقوى عقولهم وليفتح لهم بابا النظريات الفكرية، والبحث العميق فأخذ ابن القيم نفسه بالبحث والمجادلة والاجتهاد في بعض المسائل وقراءة كتب القدامى من العلماء والفلاسفة وأخذ في نقدها نقدا مرا سبب له الكثير من الشحناء والبغضاء وكثيرا من الأعداء.

وعلى كل حال فليس ابن القيم من المعصومين ولكنه قد اجتهد ونقد آراء غيره والمجتهد عرضه للخطأ والصواب، وهذا هو ابن القيم نفسه يذكر أن كل شخص عرضة للخطأ، فيقول عن شيخ الإسلام الأنصاري في كتابه "مدارج السالكين" شرح "منازل السائرين" للأنصاري، معتذرا عن خطأ وقع فيه في نظره، فيقول ما نصه: "ولولا إحسان الظن بصاحبه –أي صاحب كتاب منازل السائرين الأنصاري– لنسب إلى لازم هذا الكلام، ولكن من عدا المعصوم صلى الله عليه وسلم؛ فمأخوذ من كلامه ومتروك.."[٩]

فانظر إلى مقالة ابن القيم هذه واعتذاره ودفاعه عن شيخ الإسلام الأنصاري، وبيان أنه ليس معصوما من الخطأ مع علمه وتفوقه وتقديره له وذكره أنه ليس معصوم من الخطأ إلا النبي ﷺ. ولا شك أن ابن القيم مندرج تحت هذه الكلية فانه كذلك ليس بالمعصوم من الخطأ، وابن القيم متأثر في مقالته هذه بالإمام مالك بن أنس حيث قال: "كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك، إلا صاحب هذا القبر"[١٠] يريد النبي ﷺ.

مشكلة الصفات:

ولكي نبين رأي ابن القيم في مشكلة الصفات، ومدى انتخابه فيها أو تبعيته لمدرسة معينة، يجب علينا أن نبين رأي ابن القيم بوضوح وإسهاب فيها ثم نتبعه ببيان آراء الفرق والمذاهب الإسلامية التي تقدمت عليه، وكان لها فيها رأي، ثم نبين مقدار مخالفته لها أو موافقته إياها.

١- يرى ابن القيم أن الله سبحانه وتعالى يجب أن يتصف بكل كمال، ويتنزه عن كل نقص، فيجب أن يثبت له تعالى صفات الكمال من: القدرة والإرادة والسمع والبصر

والعلم والحياة وغيرها من الصفات كالرحمة والرأفة والبقاء، معتقدا أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلها ولا مدبرا ولا ربا، وإنما يكون مذموما معيبا ناقصا، ليس له الحمد في الأولى ولا في الآخرة، وإنما يكون الحمد لمن اتصف بصفات الكمال ونعوت الجلال التي يستحق الحمد لأجلها، بل إن إنكار هذه الصفات إنكار للصانع وجحد له في نظره[١١].

ويستدل ابن القيم على هذه الصفات بالعالم، وإتقان صنعة ويرى أن هذه الصنعة المتقنة تدل على علم صانعها وقدرته وحكمته، وفي ذلك يقول في كتابه مدارج السالكين ما نصه: "ومن طرق إثبات الصفات دلالة الصنعة عليها، فإن المخلوق يدل على وجود الخالق وعلى حياته وعلى قدرته وعلى علمه ومشيئته، فإن الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاما ضروريا، وما فيه من الإتقان والأحكام' ووقوعه على أكمل الوجود، يدل على حكمة فاعله وعنايته، وما فيه من الإحسان والنفع ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق تدل على رحمة خالقه وإحسانه.

والله تعالى في نظر "ابن قيم الجوزية" محمود على أعماله ومشكور عليها، وكلما كانت صفات الكمال ونعوت الجلال أكثر، كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله من حمده بحسبها ولهذا كان حمده أكمل وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها ولهذا كان حمده بحسبها، ولهذا كان الحمد كله لله تعالى حمدا لا يحصيه سواه لكمال صفاته وكثرتها، ولأجل هذا لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، لما له من صفات الكمال الكثيرة، ولهذا ذم الله تعالى آلهة وعابها بسلب أوصاف الكمال عنها فعابها بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ولا تنفع ولا تضر وذلك أن كفار قريش مع شركهم مقرين بالصانع وصفاته سبحانه وعلوه على خلقه.[١٢]

ويرى ابن القيم أن هذه الصفات زائدة على ذاته تعالى، والأدلة على ثبوتها كثيرة ومتعددة منها أسماؤه الحسنى إن كل اسم منها مشتمل على معنى زائد على الذات لكانت أسماؤه جامدة كالأعلام المحضة فتكون ألفاظا مترادفة، وتكون كلها أمرا واحدا لا فرق بين مدلولاتها في المعنى وهذا الأمر مما يخالف العقل والفطرة السليمة.

ويرى ابن القيم أن هذه الصفات داخلة في مسمى أسمائه وأن تجريد الذات عن الصفات والصفات عن الذات أمر ذهني لا حقيقة له بل إن هذا يؤدي إلى أن يكون الله سبحانه كالعدم المحض الذي لا صفة له وفي ذلك يقول في مدارج السالكين: "والتحقيق أن صفات الرب جل جلاله داخله في مسمى اسمه فليس اسمه الله ولرب والإله أسماء لذات مجردة لا صفة لها ألبته إن هذه الذات وجودها مستحيل وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنعات ثم يحكم عليها، واسم الله سبحانه، والرب والإله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال كالعلم والقدرة والحياة والإرادة والكلام والسمع والبصر والبقاء والقدم وسائر الكمال الذي يستحقه لذاته فصفاته داخله في مسمى اسمه فتجرد الصفات عن الذات والذات عن الصفات فرض وخيال ذهني لا حقيقة له وهي أمر اعتباري لا فائدة فيه ولا يترتب عليه معرفة ولا إيمان"

هذه نصوص من كتب ابن القيم تدل على انه كان يثبت لله تعالى جميع صفات الكمال التي تليق بجلاله تعالى لأنه سبحانه محمود على أفعاله، وكلما كانت صفات كماله أكثر كان حمده أكثر، وكلما نقص من صفات كماله شيء نقص من حمده بحسبها، وتبين لنا شدة دفاعه عن رأيه، ورده على الفلاسفة والجهمية.

٢- وبعد هذا العرض لمشكلة الصفات عامة عند ابن القيم، نريد أن نوضح ونبين مقدار تبعية ابن القيم للمدارس السابقة عليه في هذه المسألة أو ابتكاره فيها إن كان له فيها ابتكار، والمذاهب في هذه المسألة خمسة: هي: مذهب الجهمية، ومذهب المعتزلة، ومذهب الفلاسفة، ومذهب الأشاعرة، ومذهب الكرامية.

وهم ينقسمون من حيث إثبات الصفات ونفيها إلى قسمين:

فالنافون لها هم: الجهمية، والمعتزلة، والفلاسفة، والمثبتون لها هم: الأشاعرة، والكرامية، ولنبين رأي كل فرقة من هذه الفرق نقول:

أ- أما الجهمية:[١٣] فقد امتنع مؤسسها عن وصف الله تعالى بأنه شيء أو عالم أو حي ومريد، وقال: لا أصفه بوصفه يجوز إطلاقه على غيره، كشيء موجود وحى وعالم ومريد ونحو ذلك ووصفه بأنه قادر وموجد، وفاعل، وخالق، فإن هذه الأوصاف

مختصة به تعالى[14]. فالجهمية بهذا تنفي صفات المعاني وغيرها عن الله تعالى، لأنهم رأوا أن هذه الصفات تطلق على المخلوقين، وقد أطلقوا عليه بعض الصفات التي تختص به وحده، إلا أن "جهما" ذكر من هذه الصفات التي تختص بالله "القاد"؛ وهذا الوصف مما يطلق على العبيد، فيقال محمد قادر وبكر عاجز فكيف أطلق هذا الوصف على الله تعالى؟ لكنا إذا علمنا أن (جهما) كان ينفى استطاعت العبد وقدرته على الفعل، ويرى انه مجبور في فعله، فلا يوصف عنده بالقدرة' كانت القدرة مما يختص بها الله تعالى،فإطلاق هذا الوصف عليه لا ينافى مذهبه.

ب- وأما المعتزلة: فقد نفوا زيادة الصفات على ذات الله تعالى، وقالوا في صفات المعاني التي ورد ذكرها في الشرع الشريف من السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة وغيرها، إن هذه الصفات نفس الذات على رأي البعض الأخر.

وحجتهم في ذلك امتناع تعدد القديم، فإن تعدد القديم كفر فإن النصارى قد كفرت بإثبات ثلاث من القدماء فكيف الحال في من اثبت أكثر منها؟.[15]

ويقول صاحب التبصير في بيان رأي المعتزلة في الصفات: "المعتزلة ينقسمون إلى عشرين فرقة، ومما اتفق عليه جميعهم من مساوي فضائحهم نفيهم صفات الباري جل جلاله، حتى قالوا إنه ليس له علم ولا قدرة، ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا بقاء، وأنه لم يكن له في الأزل كلام، ولا إرادة، ولم يكن له في الأزل اسم ولا صفة، لأن الصفة عندهم هي وصف الواصف، ولم يكن في الأزل واصف والاسم عندهم التسمية، ولم يكن في الأزل مسم وهذا يوجب أن لا يكون لمعبودهم اسم ولا صفة. [16]

فهذه النصوص تدل على أن المعتزلة كانوا ينفون صفات المعاني عن الله تعالى، وإنهم لم يصفوها بأي صفه خوفا من تعدد القدماء.

ج- أما الفلاسفة: فقد نفوا صفات الواحد سبحانه وتعالى ونفوا زيادتها على الذات، وقالوا إن ما ورد ذكره في الشرع من وصف الله تعالى بالعلم والقدرة والإرادة وغيرها، فكله يرجع إلى صفة العلم، فالعلم عندهم نفس الذات، لأن الله تعالى في نظرهم عقلا

محض وفكر محض فليس هناك صفات زائدة على ذات الواحد سبحانه وتعالى.

واستدلوا على نفي الصفات بقولهم: إنه لو كان له صفات زائدة على ذات الله تعالى للزم التركيب في ذاته، والتركيب في ذاته محال، لأنه بسيط من كل وجه لا تركيب فيه أصلا.

د- أما الأشاعرة: فقد أثبت جمهورهم صفات سبعة لله تعالى، وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، ويسمون هذه الصفات صفات المعاني، لأنها تثبت معنى زائد على ذاته تعالى، وقد أثبتوا لها خصائص أربع، هي: أن هذه الصفات ليست هي الذات، بل زائدة عليها، فصانع العالم تعالى عالم بعلم، وحي بحياة وقادر بقدرة ومريد بإرادة، وسميع بسمع ومتكلم بكلام، وقد أنكر الفلاسفة والمعتزلة ذلك كما سبق، وأن هذه الصفات كلها قائمة بذاته، ولا يجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته، سواء كان ذلك القيام في محل أو لم يكن في محل، وأن هذه الصفات كلها قديمة: فإنها وإن كانت حديثة كان القديم سبحانه محلا للحوادث وهو محال، وهم بذلك يردون على الكرامية الذين جعلوا صفات الله تعالى حادثة قائمة بها. وجوزوا قيام الحوادث بذاته تعالى[١٧]، قالوا إن الأسامي المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبعة صادقه عليه أزلا وأبدا، فهو في القدم كان حيا وقادرا ومريدا....الخ.

هـ- أما الكرامية: أتباع محمد بن كرام السجستاني، فقد وصفوا معبودهم بجميع الصفات من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وغيرها من الصفات التي ورد بها الشرع، وبالغوا في ذلك حتى أطلقوا عليه أنه جسم، وقالوا أنه تعالى محل للحوادث فتحدث في ذاته أقواله وإرادته وإدراكه للمسموعات والمرئيات، وقالوا إنه كان خالقا قبل أن خلق ورازقا قبل رزق ومنعما قبل أن أنعم، ومعنى خالقيته قدرته على الخلق، ورازقيته قدرته على الرزق، والقدرة قديمة، والخلق والرزق حادثان فيه بقدرته.

وبعد هذا العرض الموجز لآراء الفرق المختلفة في الصفات، نرى أن ابن القيم لم يتأثر بفرق النافين في رأيه في الصفات، بل إنه قد رد عليهم ردا شديدا، وجعلهم من المعطلة. وأما فرق المثبتين فنرى أن ابن القيم قد أثبت قد تأثر بهما معا فابن القيم

قد أثبت من صفات الكمال ما هو أكثر من الصفات السبعة وجعلها زائدة على ذاته تعالى. كما أنه قد قال بقيام المتجددات بذاته تعالى، إذ أن أفعاله متجددة شيئا بعد شيء[١٨]، وهو بذلك يوافق الكرامية فقط دون الأشاعرة الذين ردوا على الكرامية في قولهم ببقاء الحوادث بذاته تعالى، ومن هنا يتضح أن ابن القيم قد تأثر بالمذهبين وان كان تأثره بمذهب الكرامية أكثر، وهو مسألة الصفات قد انتخب رأيه من بين المذاهب المتعددة السابقة وعلى هذا لم يتخذ مذهبا معيناً.

الخاتمة:

بحمد لله وتوفيقه فقد بحثت عن العالم الجليل ابن القيم الجوزية المتوفى ٧٥٢هـ، عن الصفات وموقف العلماء منه مستنداً في ذلك على كتاب مدارج السالكين وكتاب الاقتصاد في الاعتقاد من مصنفات ابن القيم كما استعرض الباحث آراء الفرق والمذاهب من كتاب الفرق بين الفرق وشرح العقائد النسفية وشرح المقاصد وكتاب التبصير في الدين لأبي إسحاق الأسفراني.

وخلص الباحث إلى نتائج وتوصيات من النتائج:

١. يرى ابن القيم أن الله يتصف بكل كمال ويتنزه عن كل نقص

٢. كما يستدل ابن القيم على هذه الصفات بالعالم وما فيه من عجيب إتقان وصفه كما يرى ان هذه الصفة لهذا العالم تدل على صاحبها.

٣. إن الصفات داله على وحدانية الله سبحانه وتعالى لذلك لا يجب الاختلاف حولها.

التوصيات:

١. يوصى الباحث لدراسة تراث ابن القيم واستخلاص ما فيه من آراء حول الصفات وشرحها بطريقة يسهل فهمها بأدلة من القرآن والسنة.

٢. كما أن طريقة ابن القيم ومنهجه السلفي على طريقة منهج السنة والجماعة لهذا يوصي الباحث بتدرج نصوص من كتب ومناهج التربية الإسلامية في المعاهد العليا والجامعات.

٣. يوصى الباحث بدارسة الصفات دراسة مفصلة وذلك للوقف على رأي موحد يليق بصفاته تعالى.

هوامش البحث:

[١] الجوزية: مدرسة بناها محي الدين بن الحافظ بن الجوزي بسوق القمح بدمشق

[٢] شذرات الذهب لابن عماد ج٦ ص٢٣

[٣] دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي ص ٣نشر القدسي عام ١٣٤٥

[٤] البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص٢٣٥

[٥] شذرات الذهب لابن عماد ج٣ ص٧٥١ مخطوط تحت رقم ١١١٢

[٦] طبقات الحنابلة لابن رجب ج٢ ص٥٩٣ مخطوط بدار الكتب

[٧] البداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الأديان لبروكلمان ترجمة خاصة

[٨] مختصر الصواعق المرسلة ج١ ص٤٨و٧٣، ونونية ابن القيم ص٢١١

[٩] مدارج السالكين لابن القيم ج١ ص١٢٥ طبع المنار

[١٠] البداية والنهاية لابن كثير ص١٤ طبع مطبعة السعادة

[١١] تفسير سورة الفاتحة بأول مدارج السالكين لابن القيم ج١ ص١٥

[١٢] تفسير سورة الفاتحة ج١ ص١٤ من مدارج السالكين

[١٣] هم اتباع جهم بن صفوان المتوفى سنة ١٢٨

[١٤] الفرق بين الفرق للبغدادي ص١٩٩ طبع مطبعة المعارف. والتبصير في الدين للإسفرائيني ص٦٤ طبع عزت العطار

[١٥] راجع شرح العقائد النفسية ص٢٥٩

[١٦] التبصير في الدين للإسفرائيني ص٣٧

[١٧] الفرق بين الفرق البغدادي ص٢١٤ 'وشرح العقائد النفسية ص٢٥٨

[١٨] مختصر القواعد المرسلة ج١ ص٢٦٢

المصادر والمراجع:

١- الاعتبار ببقاء الجنة والنار، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، ط٢، ١٣٩٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢- إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، شمس الدين محمد بن أبي بكر "ابن قيم الجوزية"، ط٣، ١٩٧٩م، مكتبة المعارف، بيروت.

٣- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط١، ١٩٧١م، دار الفكر العربي، بيروت.

٤- البداية والنهاية، أبو الفداء عمر بن إسماعيل بن كثير، ط٣، ١٩٧٩م، دار المعرفة، بيروت.

٥- التبصير في الدين، أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الأسفراني، ط٢، ١٣٩١ هـ، دار ابن القيم، القاهرة.

٦- تفسير سورة الفاتحة، ابن القيم الجوزية، ط٤، ١٤١٨ هـ، المطبعة الإسلامية، بيروت.

٧- التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبد الرازق، ط١، ١٤٠٥هـ، مكتبة ابن رشد، الرباط، المغرب.
٨- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، ط٢، ١٣٩٨ هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، ط١، ١٣٨٢
١٠- درء شبهة التشبيه بأكف التنزيل، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن التميمي القرشي، ط١، ١٣٨٣٤ هـ، مطبعة المغربي، القاهرة.
١١- السيف الصقيل في الرد على بن زفيل، تقي الدين السبكي، ط٢، ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٢- شذرات الذهب، أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن العماد الحنبلي، ط٣، ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٣- شرح العقائد النسفية، عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي، ط٣، ١٤٠١ هـ، دار الفكر العربي، بيروت.
١٤- طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن رجب الحنبلي، ط٢، ١٩٨٦ م، دار المعرفة، بيروت.
١٥- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، ط٤، ١٤١٢ هـ، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
١٦- كتاب المعاجم، أحمد بن محمد بن عثمان الذهبي، ط١، ١٤٠٨ هـ، مكتبة الرشد، الرباط المغرب.
١٧- كتاب المقال ومناهج الأدلة، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي المالكي، ط٣، ١٣٩٢هـ، مكتبة الرسالة، بيروت.
١٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ط١ ١٤٠٢ هـ، مكتبة الفرزدق، الرياض.
١٩- مختصر الصواعق المرسلة، أبو عبد الله محمد الموصلي، ط٣، ١٤١٥ هـ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
٢٠- معجم الكتب العربية، أبو عبد الله بدر الدين بن محمد بن بهادر الزركشي، ط٣، ١٤١٨ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت،
٢١- هدى الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، ط١، ١٤٠٦ هـ، مكتبة المعارف، الرباط المغرب.